الجزء الثاني

بساتين الفخر والنار

obeikan.com

obeikan.com

سنوات الجحيم

أوراق مراسل
صحفي بالعراق

الفصل الأول

طريق الحصاد

obeikan.com

obeikan.com

١ - رحلة

قادنى فضولى الصحفى الذى حركه موقف طريف تعرضت له فى أحدى ضواحى العاصمة بغداد إلى رحلة خارج العاصمة بعد أن توارت فرق الموت بكافة مسمياتها قليلا وانزوى دورها تحت وطأة ضربات أمنية موجعة ساند خلالها رجال العشائر السلطات الحكومية وفرضوا أمنا نسبيا فى عدد من مناطق العراق التى اكتوى أهلها بنيران الفتنة تارة ونيران التكفير تارة أخرى وهو الأمر الذى عزز الأمل فى استقرار دائم بعيدا عن أجواء الرعب وحكايات المشاهد المؤلمة التى غلفتها أجواء الرعب فى كل شىء لتجعل الحركة من مكان إلى آخر هاجسا يؤرق كل من يعيش بالعراق .

بدأت الحكاية عندما كنت أستقل سيارة « تاكسى» مع شاب عراقى يحب مصر كثيرا مثل كل العراقيين الطيبين الذين لم تغير مشاعرهم عمليات الشحن المنظمة ضد كل ما هو عربى أو مصرى باعتبارهم مصدر الارهاب فى العراق الجديد .. وفى أحد شوارع الضاحية البغدادية العامرة بالحفر والمياه الراكدة وبينما كان الحوار يدور عن مصر أم الدنيا والمصريين الذين عاشوا بالعراق كجزء من أهلها مع عتاب كبير عن منع العراقيين من زيارة مصر وصعوبة الحصول على فيزا للاستمتاع بليالى القاهرة التى لا تنام والهروب من ضجيج المولدات والأيام القاحلة والذهاب إلى مسرح عادل إمام الذى يعشقه العراقيون كثيرا لنسيان الذكريات التعيسة والأزمات الخانقة .. وبينما كانت ضحكاتنا تتعالى متذكرين قفشات عادل إمام فى مسرحياته وأفلامه حتى توقفت السيارة متعثرة فى إحدى الحفر المليئة بالماء الراكد وكان علينا أن نخرج وسط هذا الطين المحاط بالأوساخ فى محاولة لرفع السيارة من الحفرة التى استقرت فيها وعندما فشلت جهودنا وخارت قوانا دون جدوى تبدلت معالم وجه الشاب العراقى التى كانت تنطق بالسعادة وتعلوها البشاشة لينقلب إلى وجه مخيف ينطق بالشر وأقسم قسما غريبا لم أفهمه ساعتها « والعباس اذا صار للسيارة شيىء لأفصلك اليوم » .. أما العباس فهو الأخ غير الشقيق للإمام الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام وهو من الشخصيات التى تتمتع بقدسية كبيرة لدى الشيعة ويعنى الحلفان به أقصى درجات الصدق لديهم فهو الشهيد الذى خاض قتالا بطوليا مع أخيه الحسين « الامام الثالث لدى الشيعة» فى ملحمة كربلاء ويواجه مرقده فى كربلاء مرقد الامام الحسين ويطلق على المنطقة التى تفصلهما وهى لا تزيد على مائتى متر « منطقة ما بين الحرمين الشريفين » ..

وأما الفصل فهو طريقة حسم النزاع بعيدا عن أقسام الشرطة والقانون الحكومى ويتم اللجوء إليها على نطاق واسع لأن العراق مجتمع عشائرى تفوق فيه

سلطة العشيرة ما دونها من سلطات خاصة بعد إنهيار نظام صدام حسين الذى كانت سلطة الدولة خلاله هى الأقوى والأشد عنفا ويخضع لها الجميع ويجرى الاستعانة بالفصل العشائرى خشية الفتنة والخوف من وقوع حوادث تجر إلى ما لا تحمد عقباه وهو قانون لا يسير على قاعدة معينة وإنما يختلف بالنظر لعرف كل قبيلة والقبائل المجاورة .. ولولا تدخل بعض المارة من العراقيين الطيبين الذين حملوا السيارة إلى خارج الحفرة وحاولوا تهدئة السائق الشاب وتقليل ثورته باعتبارى ضيفا والواجب إكرامى وتحمل أخطائى .. لولا ذلك التدخل واطمئنان السائق على أن سيارته لم يطالها سوء لكان سيناريو الحكاية قد تبدل إلى ما لا تحمد عقباه ذلك لأن صورة الحل فى قانون الفصل العشائرى كما علمت بعد ذلك لا يكون مشتركا وإنما فيه خلاف وهذا الخلاف إما أن تكون له قوة تدعمه أو ضعف يفرض الاستسلام لمطالب الطرف الأقوى أو يتباعد العرف لتصل الأمور إلى نهايات غير حميدة .

٢ - الشخصية العراقية

مضى كل منا فى طريق بعد انتهاء المشكلة إلا أن تفاعلاتها فى ذهنى مضت إلى غير طريق عبر سلسلة من الأسئلة فهل الشخصية العراقية هي الوحيدة التي تمزج هذا العنف بقيم وشفرات تستوحي قوتها من عقائدها المسكوت عنها؟ وهل هي المتفردة في إيجاد هامش ثقافي لهذا العنف وهذه العقائد في نصوص وطقوس يشتبك فيها الرمز والاستعارة مع موحيات التقديس؟ وهل هذه الثقافة ترتبط بشكل أو بآخر بخصوصيات عبادية تؤسس الديانات خطابها بناء على العلامات الطقوسية والرمزية باعتبارها أشكالاً مقدسة لمواجهة القوة وسيطرة رمزية العنف السلطوي في مكان العقائد؟ وهل هذه الموروثات هي المسؤولة عن صناعة المجال التوليدي لاستمرارية انتاج القسوة وسردية الحاكميات والحكومات، تلك التي وجدت في فرض عنف السلطة ضرورة للدفاع الغريزي عن نوعها وعن ذكورتها القهرية؟ وهل التاريخ السياسي للسلطة في مدن العراق بدءا من النموذج الأموي والعباسي وما تلاه في تاريخ الفترة المظلمة، كما تسمى ونموذج السلطة العثمانية وانتهاء بالنموذج الوطني للسلطة بدءا من عام ١٩٢١ ولغاية ٢٠٠٣، هو خارج سياق انتاج العنف الضاغط والمولد لثقافة العنف المضاد أو العنف المكبوت في الشخصية العراقية؟

قادت هذه الأسئلة إلى أسئلة أخرى تطلبت إجابات قادت بدورها إلى رحلتين فى شدة الخصوبة والثراء اكتشفت خلالهما جانبا اخر من العراقيين الطيبين وجوانب من مداخل لفهم الكثير مما شهده العراق بعد سقوط نظام صدام حسين

.. كانت الرحلة الأولى نظرية تطلبت الإطلاع على عشرات الكتب حول العشائر العراقية التى يتكون منها المجتمع ونسيجه الفسيفسائى المتشعب القوميات والأعراق والمذاهب والقوميات وهى أمور رأيت أن كلا منها يستحق تأليف أكثر من كتاب أدعو الله أن يساعدنى على إنجاز بعضها بعد انتهاء مهمتى بالعراق بالإضافة إلى دراسات عن الشخصية العراقية التى اختلف الساعون إلى تقييمها وفهمها من خلال البحث في زوايا متعددة من التحليل النفسي والاجتماعي والتاريخي بحيث جاءت تلك التحليلات التي شملت أداء فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ومؤرخين وباحثين في علم الأخلاق وغيرهم متباينة إلى درجة كبيرة تتراوح بين وسمها بالطابع المرضي إلى وصفها بالطابع الإبداعي بينما يعدها البعض مصابة بحالة من اختلال التوازن والانسجام ناتجة عن تراكم عقد ومركبات نفسية واجتماعية أنشأت حالة من الانشطار الوجداني فيها وآخرين اعتقدوها مصابة بالازدواجية السلوكية الناتجة عن إحتوائها ضمنياً على أكثر من نموذج نفسي واجتماعي مختلف ومتباين في خليط عجيب .

لم تستطع الشخصية العراقية حسم صراعها الذاتي بين هذه النماذج نهائياً بحيث يتمكن الباحث العلمي تأكيد نموذج سلوكي متوقع أو التنبوء به على نحو الحتمية إزاء المسائل العامة أو الخاصة.

في حين تقف مجموعة ثالثة لتصف الشخصية العراقية بالينبوع المتدفق من الإبداع والاجتهاد طلبا للتغير المستمر باعتباره هدفاً حياتياً وبذلك لم تشهد هذه الشخصية السكون ولم تذق طعم الاستقرار منذ آلاف السنين وقد ساعدنى فى ذلك كثيرا وجود أحد أهم علماء الاجتماع وعباقرته على مستوى العالم بالعراق وهو الأستاذ الدكتور علي الوردي المولود فى كاظمية بغداد عام ١٩١٣ والمتوفى فى يوليو عام ١٩٩٦ حيث انطلقت إلى كل حدب وصوب أبحث عن مؤلفاته وألتهمها بشراهة وجدية تفوق جدية بحثى عن حقائق ما يجرى بالعراق المشتعل فقد كتب الوردي ثمانية عشر كتابا ومئات البحوث والمقالات خمسة كتب منها قبل ثورة عبد الكريم قاسم فى ١٤ يوليو /تموز/ ١٩٥٨ ولعل أهمها كتابه « وعاظ السلاطين» الذى وجه خلاله نقدا لاذعا لهؤلاء الوعاظ « رجال الدين» وأتهمهم بالوقوف إلى جانب الحكام وتجاهل مصالح الأمة على حساب مصالحهم الضيقة متخاذلين عن واجبهم الديني فى الوقت الذى يعتمدون على منطق الوعظ والإرشاد الافلاطوني منطلقا من أن الطبيعة البشرية لا يمكن إصلاحها بالوعظ وحده، وان الوعاظ انفسهم لا يتبعون النصائح التي ينادون بها وهم يعيشون على موائد المترفين، كما أكد بأنه ينتقد وعاظ الدين وليس الدين نفسه..

وقد دعا الوردى إلى نبذ الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة وطالب بالنظر إلى موضوع الخلاف بين الإمام علي والصحابة على إنه خلاف تاريخي تجاوزه الزمن ويجب على المسلمين عوضا عن ذلك استلهام المواقف والآراء من هؤلاء القادة التاريخيين وما أحوج العراقيين خاصة والمسلمين فى بقاع الأرض بشكل عام لهذا التوجه حتى يبتعدوا عن الطائفية التى تغذيها مصالح سياسية فى المقام الأول وارتباطات وصراعات بين القوى الدولية والإقليمية تأخذ من الصراع الدينى الطائفى كواجهة لتمرير مخططات وأجندات بعيدة كل البعد عن الدين وطوائفه خاصة السنية والشيعية .

اما الكتب التي صدرت بعد ثورة ١٤ يوليو /تموز/ فقد اتسمت بطابع علمي ومثلت مشروع الوردي لوضع نظرية اجتماعية حول طبيعة المجتمع العراقي وفي مقدمتها كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ومنطق ابن خلدون ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث الذي صدر في ثمانية أجزاء.

لقد تنبأ الوردي بانفجار الوضع مثلما تنبه إلى جذور العصبيات التي تتحكم بشخصية الفرد العراقي التي هي واقع مجتمعي تمتد جذوره إلى القيم والاعراف الاجتماعية والعصبيات الطائفية والعشائرية والحزبية التي ما زالت بقاياها كامنة في نفوس العراقيين وكذلك إلى الاستبداد السلطوي، الزمني والتزامني، الذي شجع وما يزال يشجع على اعادة إنتاج الرواسب الاجتماعية والثقافية التقليدية القديمة وترسيخها من جديد، كما يحدث اليوم من اعادة انتاج الفتنة الطائفية ومحاولة تصديرها حتى ينشغل بها الجميع عن القضايا الرئيسية .. بالإضافة إلى خلق أعداء وهميين يكونوا عوضا عن محاربة الأعداء الحقيقيين .

ولعل ما يثير التساؤلات الحائرة هو كيف تمكن العراقيون من الحفاظ على أمن بلدهم دون حوادث عنف طائفى أو سياسى أو إرهابى وغيرها من المسميات التى طفت فيما بعد على السطح بعد دخول القوات الأمريكية إلى قلب بغداد فى ٩ أبريل / نيسان/ عام ٢٠٠٣ والإعلان رسميا عن نهاية عهد صدام حسين بالرغم من عدم وجود حكومة لمدة تزيد على ١٤ شهرا عندما تولى اياد علاوى رئاسة أول حكومة انتقالية نهاية يونيو عام ٢٠٠٤ وكذلك في السنوات الثلاثة التى أعقبت الاحتلال والتي تميزت بغياب شكل ديمقراطي للحكم وغياب حياة حزبية رصينة ومتجذرة وغياب الولاء لشخصية البطل الفرد الراسخة في الوجدان الشعبي.

وربما تفسر خلاصة الدراسات التى نشرت عن طبيعة الفرد العراقى ذلك السلوك المتسامى من العراقيين الذين أداروا شئون بلادهم بدون حكومة بشكل رائع

لمدة تزيد على ١٤ شهرا رغم ما حدث من عمليات نهب منظمة أطلق عليها « الحواسم » والتى سيأتى ذكرها تفصيليا فى كتاب اخر تعليقا على ما حدث فى ساحة الفردوس وسط بغداد بعد سقوط تمثال صدام حسين فى المشهد الهوليودى الشهير يوم التاسع من أبريل عام ٢٠٠٣ .. حيث تشير تلك الدراسات إلى أن الفرد العراقي الطبيعي الذي لا ترتبط مصالحه الفردية الأنانية بأي مصالح ذاتية يقاوم بطبيعته وباللاشعور أي محاولات تؤدي إلى إنغلاق شخصيته وانعزاليتها لأن هذا يجافي النزوع التاريخي الموروث فيه نحو التغيير والانعتاق ويؤدي به إلى المزيد من القلق والتوتر اليومي حيث يسبح في عوالم نفسية متناقضة يقوم الولاء في أحدها على مقاومة الولاءات الأخرى .. ولكن إذا ما تحرك خزين الوعي فسرعان ما يجره نحو التسامي على الأنانيات والضغائن التي تحفزه عليها رواسب التحيزات الذاتية المتقوقعة ويعمل على تفتيح شخصيته التي تتكشف دائماً عن لؤلؤة ثمنية، هي أخوة المواطنة ذلك أن الوعي الاجتماعي الموجود يتغلب عند اللزوم فيما يشبه انتفاضة الوعي التاريخي في وجدان وعقل الفرد العراقي وحين ينتفض الوعي ويتسامى تتحطم أطر الولاءات الذاتية المتقوقعة ويفيض نهر المواطنة الحقة .. نهر الوحدة والمحبة والتسامح .

٣ - ثراء المتناقضات

ترتبط أزمة الحديث عن الشخصية العراقية أساساً بأزمة إدراك طبيعة هذه الشخصية في المكان والزمان، خاصة ما يجعل هذين المؤشرين خاضعات لمرجعيات سياسية قهرية، وأنماط من الحكم والسطوة والكبت، تلك التي جعلت صيرورة الشخصية رهينة بتراكم وقائع ضاغطة تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية وكوارث طبيعية وعسكرية وغزوات دامية، .. كل هذه سحبت هوية الشخصية إلى ارتكازاتها النفسية، وما تمثله هذه الوقائع من علامات للدمار والعنف وهذا ما جعل الشخصية العراقية تبحث دائما عن عوامل لمواجهة هذا الإقصاء الذى يصل إلى حد المحو أحيانا وهو الذى ارتبط بعوامل خارجية مثل (الغزو والكوارث والحروب) وداخلية مثل قهر السلطة وقمعها، والقوة الغاشمة للقوى المهيمنة (مؤسسات الأمن، الإرهاب، المؤسسات العسكرية).

وقد أدت تلك العوامل الضاغطة إلى نزوع الشخصية العراقية إلى مواجهة هذه القوى بصناعة مصدات ثقافية ونفسية للدفاع عن هويتها ووجودها وحتى عقائدها، جعلها الأقرب إلى التماهي مع الثقافات الباطنية، والدفاعية وثقافات (التقية) وهى وان كانت تمثل جزءا رئيسيا فى عقيدة الشيعة إلا أنها تمارس من كافة المكونات « السنة والصابئة والمسيحيين » وغيرها من مكونات الشعب العراقى وهو ما كان يظهر

جليا فى أن يحمل الفرد العراقى أكثر من اثبات للشخصية / هوية/ تتغير مع تغير المناطق التى يضطر إلى عبورها وصولا إلى وجهته النهائية بسبب وجود مناطق تقع تحت سيطرة الميليشيات الشيعية وأخرى تحت سيطرة القاعدة السنية خاصة فى فترة اشتعال الفتنة الطائفية التى بدأت بذورها عام ٢٠٠٥ وبلغت ذروتها عامى ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ عندما سادت الثقافة الاقصائية التي تقوم على محو الآخر، أو فرض أشكال من الإرهاب الثقافي اللغوي والرمزي والمادي عليه، بما يمنح هذا الآخر صفة العدو، المختلف معه، الكافر،الزنديق، الخارج عن الملة والأمة التي توجب تكفيره، ولزوم قتله أو طرده أو تغييبه وهو ما أنتج أكبر موجة نزوح بشرى فى العصر الحديث حيث جرى تطهير مناطق العراق على أساس طائفى وعرقى فهرب أكثر من مليونى شخص إلى الخارج ونزح مثلهم إلى الداخل فى مناطق تتواءم مع طائفتهم أو قوميتهم .

٤ - العنف

ويعتقد كثير من الباحثين أن تاريخ العنف في الحياة العراقية هو نتاج لعنف الدولة بدءا من دولة المناذرة ودولة الحروب خلال الفتوحات الإسلامية وصولا إلى الأمويين و العباسيين وحروب هولاكو وجنكيزخان وتيمورلنك والسلاجقة والبويهيين الصفويين والعثمانيين وانتهاء بنمط الدولة الانقلابية الذي بدأ منذ عام ١٩٥٨ وحتى عام ٢٠٠٣ لان هذا العنف اسهم في صناعة سياقات اجتماعية ووظائف وتوصيفات رمزية مثل وظائف العسس والبصاصين والسيافين وأصحاب الحسبة ورجال الأمن والمخابرات والقناصين وما أدخلته ظاهرة «الحواسم» من مصطلحات لا تختلف كثيرا عما سبق مثل « العلاسة» والمخبر السرى والصكاكه وغيرها من أشكال تؤدى فى النهاية إلى السجن أو القبر .

إن صناعة العنف في المكان العراقي، هي صناعة موجهة، ذات مرجعيات إشكالية، أسهمت في إنتاجها عوامل السلطة القهرية، التي حكمت هذا المكان بأنماط محددة من المعيش،والوجود، والعلاقة المأزومة بين الحاكم والمحكوم، أو بين (السلطة والرعية) اذ كان رعب هذه العلاقة هو المولد لثقافة العنف والكراهية، فضلا عن أن شيوع الفقر والجهل والتخلف وهما جزء من مخلفات السلطة القهرية،أسهم هو الآخر في صناعة الشخصية المطلبية،الشخصية التي تبحث عن مصادر معيشها ووجودها،مثلما أسهمت في الشخصية الخانعة المستلبة الخاضعة لتوجهات السلطة، وحتى شخصية(الشقاوة)في البيئة الشعبية العراقية هي في جوهرها صناعة دفاعية عن المكان والوجود لجأ اليها الخيال الشعبي للدفاع عن مكانه وهويته. ويقول بعض الباحثين : إن الإنسان العراقي ابن مكانه، وان القهر المكاني

والعنف المكاني وتشوهات المكان هي التي أسهمت في انتاج الكثير من ملامح هذا العنف السلوكي والرمزي والممارسات التي تحمل في جوهرها شفرات احتجاجية رافضة للسلطة ولقوة رأس المال والتملك بدءا من التملك الحكومي وانتهاء بالتملك الطبقي..ولعل قراءة ظواهر مثل الحواسم، والعنف الطائفي تنعكس عبر قراءة الظواهر الاشكالية في المكان وأنماط الثقافات المهيمنة خاصة الثقافات الفقهية التي تم توظيفها من قبل السلطة والايديولجيا بشكل مشوه لفرض الهيمنة، والتي أصبحت فضاء مفتوحا لأنماط أخرى اكثر تطرفا وغلوا في تكفير الآخر وإباحة دمه وماله وعرضه ناهيك عن أن ظاهرة الحواسم / لم تكن بعيدة عن الاختلاط الثقافي وتشوه موجهاته، والاثر النفسي العميق الذي يعكس نزعات دفاعية إكراهية عدوانية مقابلة للخطاب المهيمن الذي كان يملك كل شيء ويوزع دون عدالة الحقوق والثروات على الآخرين إلا أن العراقى الطيب ينتصر في النهاية إذا أخذنا معيار الوعي التاريخي الدفين لدى الشعب العراقي وانحسار الغبش، وذلك سر الشخصية العراقية.

ويرتبط مع طابع العنف فى الشخصية العراقية لفترات الحرمان والضغط والاضطهاد والإحباط صفة أخرى ارتبطت بمراحل القهر والفقر بعد العزة والإشباع وهى إفتقاد الشخصية العراقية إلى المرونة الكافية إلى حد التطرف أحيانا في التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها سواء الحب أو الكراهية فهي إذا أحبت مجدت وإذا كرهت أسقطت كلياً نفس الشخوص وذات المواضيع.

كما حثت الظروف التاريخية المسلطة على الشعب العراقي عبر القرون إلى نزوع الشخصية العراقية نحو الاندفاع المفاجئ في المواقف بانفعالية والانفجار غير المتوقع في أحيان كثيرة بشكل يصعب السيطرة عليه حتى وصف العراقي بأنه مثل «نار الحلفة» لسرعة الاشتعال والانطفاء .

٥ - كأن الريح تحتي

لعل أهم ما يميز الشخصية العراقية بالاضافة إلى العنف هى أنها شخصية قلقة وغير ساكنة ينطبق عليها قول المتنبى « على قلق كأن الريح تحتى ، وهذا شيء جيد لمن يريد التغيير فذلك يمنحه شعباً جاهزاً يتمتع بحيوية .. حيث يعتبر القلق موروثا أساسيا في الشخصية العراقية عبر القرون وليس قلقاً فردياً يمكن إعادة أصوله إلى التكوين النفسي للفرد العراقي .

وبالتأكيد فإن الظروف التي مر بها العراقي عبر التاريخ وكثرة المتغيرات الحاصلة وتقلب الأحوال السياسية والاقتصادية وما يرافقهما من انعكاسات اجتماعية

وتتابع عمليات الاحتلال وتوالي أنواع أنظمة الحكم المتناقضة في المقاصد والسلوك السياسي وطرائق الحكم قد ساهمت في عدم استقرار أوضاع هذه الشخصية التي تعرضت في أحوال كثيرة لظلم تاريخي تنوع بين البطش والقتل والاستلاب .. كما لعبت الثورات والانقلابات العسكرية والمشاكل الداخلية والمنازعات والاحتكاكات القبلية والطائفية والعنصرية دورها في ذلك .. ولطالما عاش العراقي عقوداً في أجواء المظاهرات والاعتصامات والمسيرات وإعلان الأحكام العرفية وحل البرلمان وتعطيل الصحف وسريان الاعتقالات والمطاردات والنفي والطرد والفصل والعزل والتصفية وإغلاق المدارس والجامعات وسقوط الوزارات وإسقاط الجنسية وشيوع ألوان التخلف وإنعدام الحقوق المدينة حتى جاء العقد القريب الذي شهد في بعض السنوات السبعينية استقراراً نسبياً لتبدأ سلسلة من الحروب المدمرة للأرواح والنفوس والاقتصاد مع الجارة إيران ثم الكويت ساهمت في شرذمة المجتمع وترسيخ الحالة القلقة فيه إلى أعلى مستويات القلق الإنساني والخوف من المستقبل المجهول.

لقد أكدت الفردية والسلبية ترسيخ الفروق والاختلافات وانعدام الثقة بالآخرين وقلة التعاون وشيوع أجواء الكراهية .. والغريب أن تلك السلوكيات استمرت موروثاً يظهر أحيانا ويتوارى أحيانا أخرى منذ أيام السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين وأيام الأمويين والعباسيين وما تلاها من أيام السلاجقة والفرس والأتراك وغيرهم فهي داخلة في الموروث التاريخي العراقي الذى أنتج التصفية والاجتثاث اللذين قرأنا عنهما الكثير وشهدنا نماذجهما الحية خصوصاً النزوع الحالي بقوة وكثافة إلى العنف التصفوي الدموي كما يعبر عن واقعة اليومي بصورة مكشوفة وسافرة.

٦ - ميراث القهر والغضب

أدى مرور الحكام الغرباء على العراق عبر العصور وما مارسوه من ظلم واستبداد إلى قطع خيوط الصلة الودية بين الشعب وحكامه التى لم تتصل بين الشعب وحكامه من أبناء جلدته العراقيين بسبب التسلط ولهذا استمرت رواسب هذه العقدة وهذا الانقطاع يحرك الشخصية العراقية ويغذى فيها عدم الثقة بالحكومات وشيئاً لا يستهان به من الكراهية وهو ما جعل العراقي يؤلف في وجدانه الباطني سلماً من الولاءات تتغير في حركة دائبة من الصعود والهبوط فتارة تتقدم الأسرة والعشيرة وتارة تتقدم الطائفة الدينية وذلك ضمن نظام متأرجح تؤثر فى نتائجه طبيعة الحياة التى تختلف بين القرية والمدينة .